

علل تلاشي الريادة الثقافية

الكاتب



عبداللطيف الزبيدي

أليس عجباً أن أوساط الثقافة والفنون لا تعكف على بحث علل كل نطيحة ومتردية في محيطها؟ لعلك ترى في السؤال سذاجة، كالقول: ما للمعتلّ لا يعرف سرّ اعتلاله؟ القضية مختلفة، فالمثقف والفنان لا يكونان هكذا إلا متى كانا ناقلين. النقد الذاتي مكمل للإبداع. عادة رائعة في الشعر الجاهلي: الحوليّات. يظل الشاعر عامماً منشغلاً بتحسين القصيدة وتجويدها. وجهات النظر شتّى. جلال الدين الرومي مثلاً: يقول: «كل شعر يأتي من دوني، يكون رائعاً». العكس تماماً

ما يسترعي الانتباه، هو أن القرن العشرين شهد ارتفاعاً فريداً في منسوب الثقافة، آداباً وفنوناً، من 1920 إلى 1960. في تلك الحقبة تجلّت الثقافة في مشهد تناغم في كل مكوثاتها. لكن التحليل سيكون أحول إذا أسقطنا الرجوع إلى ما قبل ذلك بكثير، إلى القفزة التي حققتها مصر في عهد محمد علي باشا، والمحطة البديعة التي أبدعت أوبرا «عايدة» للمؤلف الموسيقي الإيطالي فيردي، بمناسبة افتتاح قناة السويس، والرواد النهضةيين في أواخر القرن التاسع عشر. من الضروري دراسة الأسباب التي جعلت جياذ الآمال العربية تكبو كبوتها؟

في تلك العقود الأربعة، كان العالم العربي عالماً عربياً. كانت لمصر ريادة ثقافية من الماء إلى الماء. اليوم، في رأيك، ثمة أدباء، شعراء، ملحنون عرب، «يتزعمون» ميادينهم؟ لا تلوح في الساحة أيّ أواصر عضوية بين مكوثات الثقافة عربياً؟ طه حسين كانت كلماته تُسمع من به صمم من طنجة إلى عدن. أمّ كلثوم كانت حفلاتها الشهرية تحشد وتحشر العرب مشرقاً ومغرباً. تلك المهابة الثقافية كانت دافعاً إلى الأفضل في الأدب والفن. الأعمال الكوميدية كانت تحظى بعناية فائقة من حيث الفن والاحتراف، أمّا اليوم فهي في العناية المركزة. خذ مثلاً مسرحية «إلا خمسة»، بطولة عادل خيري وماري منيب، لا تجد فيها ممثلاً أو ممثلة، غير متألفة، بلا استثناء. حتى نسبة التهريج مقبولة: إملاء الرسالة على السكرتير (مِعْزَة وَمَعْزَة)، أو مشهد إطالة التكرار الزهايمري: «أنت جاية تشتغلي إيه»؟

لكن، ما يجب أن يعلمه المثقفون علم اليقين، حتى يكّدوا ويكدّحوا في إيصال الرسالة، هو أن القضية متوقفة على سلسلة مراتب في المسؤوليات، فالتفكك الذي أصاب العلاقة العربية في كل المستويات، لن تعالجه حلول أدبية أو فنية محدودة.

لزوم ما يلزم: النتيجة الفكرية: فيروس شتات التنمية العربية يتكاثر في كل خلايا الجسم العربي

abuzzabaed@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024